

المحاضرة السابعة عشرة

المشكلات التي تحوط المجاز وعلاقته بالمشترك اللفظي

الى جانب الاضداد وعلاقته بالمشترك اللفظي

١. فقد يكون أحد المعنيين متفرعاً في الأصل عن الآخر بطريق المجاز ثم نسي المجاز بمرور الوقت وصار من النوع المسمى بالمجاز الميت.
 ٢. إنَّ رسم الحدود بين المعاني سيدخله جزء اعتباطي أو تحكمي أو ذاتي لأنه - على حد تعبير بلومفيلد - ليس من الأمور القابلة للقياس الدقيق.
 ٣. صعوبة التطبيق. ويمكن التمثيل لذلك بكلمة bill الانجليزية. فإذا كان من الممكن الزعم بأن اثنين من معانيها(منقار الطائر - ورقة نقدية) لا يملكان أي مكونات تشخيصية مشتركة على المستوى القريب فمن الصعب إصدار نفس الحكم على معاني الكلمة الأخرى(فاتورة - إعلان - مشروع - قانون...)^(١).
- أ. ويرى Lyons اتخاذ أجزاء الكلام كمعيار لفصل الهومونيمي من البوليزيمي وعلى هذا فكلية hammer (اسم) و hammer (فعل) توضعان في المعجم كمدخلين منفصلين. في حين إن division (عملية حسابية=القسمة)، و division (فرقة من الجيش) توضعان معاً في مدخل واحد.
- ويتعرض lehrer على هذا المعيار قائلاً: ويبدو أن كلمتي division أكثر بُعداً من الناحية السيمانتية من كلمتي hammer، لأنَّ ما يتعلّق بالحساب يدخل تحت مجال((المقدار))، وما يتعلّق بالجيش يدخل تحت مجال((العدد)).

(١) Semantics Fields، ص ٨، و Semantics Theories، ص ١٠، و Meaning of Style، ص ٢٠، و Componential Analysis، ص ١١٧-١١٩.

ج. ويقترح أولمان معياراً ذا ثلاث شعب على النحو التالي:

١. حينما يعطي كل من اللفظين مشتقات مختلفة فإن هذا يعني أنها كلمتان مختلفتان ويجب معاملتهما على انهما ينتميان الى مادتين معجميتين مختلفتين. وضرب مثلاً لذلك بكلمة balle الفرنسية التي تمتلك في أحد فرعيها: المشتق: ballon (بمعنى بالون) وفي الفرع الآخر: المشتق ballot (حزمة أو لفة)، مما يرجح اعتبارهما كلمتين مختلفتين (هومونيمي).

٢. إذا وجد اسمان متطابقان أو أكثر ولكن دخلا تحت موضوعين مختلفين فإنّ الامريكون متعلقاً بالهومونيمي وليس البوليزيمي. مثال ذلك الصيغة suit (دعوى تقام على شخص) و suit (حلة).

٣. كذلك يمكن إجراء اختبار رد الفعل عند المتكلمين المواطنين لتقرير ما إذا كانت الصيغة الغامضة مادة معجمية واحدة أو أكثر.

٤. ويقترح Chapin أن ينظر الشخص الى لغات أخرى من اجل المقارنة إذا كان هناك لغة أخرى تضع لفظين لما تضع له الانجليزية لفظاً واحداً فإننا نقرر أننا امام هومونيمات في الانجليزية.

ويمكن التمثيل لهذا بكلمة uncle الانجليزية بمعنيها: ((أخو الأب)) و ((أخو الأم)) فيجب على هذا الاقتراح اعتبارها من الهومونيمي لأن هناك لغات أخرى تعبر عن هذين المعنيين بلفظين مستقلين مثل اللغة العربية التي تستعمل ((عم)) و ((خال)).

أ. ويعطي Weinreich معياراً آخر يوقم على حصر مكونات المعنى أو مباح التعريف. نكون امام بوليزيمي إذا كان المثالان يملكان على الأقل ملمحاً دلاليّاً مشتركاً. ونكون امام هومونيمي إذا لم يوجد أي ملمح مشترك.

لكن المشكلة ما تزال موجودة لأنه توجد صعوبة في تحديد الملمح الملائم الذي يعول عليه. وباستخدام هذا المعيار تصنف كلمتا bank (مصرف - ضفة) على انها من البوليزيمي ما دام كلُّ منهما يملك الملامح المشتركة: شيء مادي - محسوس - غير حي.

ومثل هذا يقال عن الأمثلة العربية الآتية:

١. كلمة ((يد)) في الاستعمالات الآتية:

- كسرت يد فلان.

- يد الفأس (مقبضها).

- يد الطائر (جناحه).

- طويل اليد (للسمح الجواد).

- يد الرجل (جماعة قومه وانصاره).

٢. كلمة ((كتب)) ترد في التعبيرات الآتية:

- كتب الكتاب (انتسخه).

- كتب البغلة (جمع بين شفرها بحلقة).

- كتب القرية (خرزها بسيرين).

- كتب الكتيبة (جمعها).

فهل نقول إننا امام مجاز او مشترك لفظي؟

وفي رأي د. احمد مختار عمر أنه يجب أن نميز بين نوعين من المجاز:

أ. النوع الحي الذي ما زال يثير الغرابة والدهشة، وهذا لابدَّ من اعتباره مرتبباً

بمعناها الحقيقي، ولذا لابدَّ من تفسيره على ضوء المعنى الحقيقي. فهذا يُعد

من النوع الأول مثل رأس المسمار ورجل الكرسي وإطلاق أسد على الرجل الشجاع.

ب. النوع الميت أو المنسي، وهو في هذه الحالة لا يثير لدى السامع أي غرابة أو دهشة مثل استعمال الكتابة بمعنى النسخ حيث يفسرها السامع دون ربطها البوليزيمي وإن كان في أصله قد اعتمد على المجاز. رأي إبراهيم أنيس في المشترك اللفظي:

للدكتور إبراهيم أنيس رأي متشدد في موضوع المشترك اللفظي، إذ يخرج النوعين الأوليين منه نهائياً، ولا يعتبر من كلمات النوع الثالث إلا ما تباين فيه المعنيان كل التباين. أما إذا أتضح أن أحد المعنيين هو الأصل، وأن الآخر مجاز له فلا يصح أن يُعد هذا من المشترك اللفظي في حقيقة أمره. ذلك لأن المشترك اللفظي الحقيقي إنما يكون حين لا نلمح أي ضلة بين المعنيين، كأن يقال لنا مثلاً إن الأرض هي الكرة الأرضية وهي أيضاً الزكام. وكأن يقال لنا إن الخال هو أخو الأم، وهو الشامة في الوجه، وهو الأكمة الصغيرة. ومثل هذه الألفاظ التي اختلف فيها المعنى اختلافاً بيناً قليلة جداً بل نادرة، ولا تكاد تجاوز أصابع اليد عدداً.

أما الكلمات التي تسمى بالاضداد فيرى أن اعتبارها من المشترك نوع من الإقحام لما بينها من صلة الضدية، وهي صلة وثيقة في الدلالات. فلنأخذ نذكر الأبيض إلا ذكرنا معه الأسود. ولنأخذ نذكر الغبي إلا ذكرنا معه الذكي. ومع هذا فحين نسلم جدلاً بأن الألفاظ التي وضحت الصلة بين معانيها يمكن أن تعد من المشترك اللفظي نراها قليلة العدد. فهي لا تكاد تجاوز العشرات^(٢).

وإذا كان لنا من تعليق على رأي الدكتور أنيس فإنه يتلخص فيما يأتي:

(٢) دلالة الألفاظ، ص ٢١٣-٢١٥.

١. أنه رغم تضيقه الشديد لمفهوم المشترك اللفظي في كتابه ((دلالة الألفاظ)) وقصره المشترك الحقيقي على كلمات لا تتجاوز أصابع اليد والمشارك بمعناه الواسع على كلمات لا تتجاوز العشرات - نجده في كتابه ((في اللهجات العربية)) يصرح بأن المعاجم العربية قد أمتلأت بها، وأن ما نشأ عن التطور الصوتي يبلغ المئات.

٢. أنه لم يستقر على وضع واحد بالنسبة لكلمات المشارك التي نشأت عن تطور صوتي فمرة اعتبرها من المشارك ومرة عدّ من الإسراف والمغالاة مجازة المعاجم العربية في اعتبارها من المشارك وذكر أن الأقرب إلى الصواب أنها من قبيل التطور الصوتي^(٣).

٣. أنه أدعى أن القدماء لم يسيروا إلى التطور الصوتي كعامل من عوامل نشوء المشارك ولم يفتنوا إلى إمكان حدوثه^(٤). وقد سبق أن ضربنا أمثلة كثيرة على هذا النوع من كلام كراع نفسه.

٤. أنه مزج بين المنهجين الوصفي والتاريخي في علاج هذه الظاهرة، وكان الأولى أن يقتصر على أحدهما.
الآثار الإيجابية للمشارك اللفظي:

من الممكن أن يصل الباحث إلى مجموعة من الآثار الإيجابية لهذه الظاهرة منها:

١. إنّ وجود كلمة مستقلة لكل شيء من الأشياء التي قد نتناولها بالحديث شأنه أن يفرض حملاً ثقيلاً على الذاكرة الإنسانية. وسوف يكون حالنا حينئذ أسوأ من حال الرجل البدائي الذي قد توجد لديه كلمات خاصة للدلالة على

(٣) في اللهجات العربية، ص ٢٠٣.

(٤) المصدر نفسه، ص ٢٠١.

المعاني الجزئية كغسل نفسه، وغسل رأسه، وغسل شخص آخر، وغسل رأس شخص آخر، وغسل وجهه، وغسل وجه شخص آخر.

٢. استغلال الغموض كخاصة من خواص الأسلوب، وهو امر وجد في الآداب القديمة وما يزال يوجد في الآداب الحديثة^(٥). ويدخل تحت هذا الاستغلال صور من الفنون الدبية والبلاغية مثل التلاعب بالألفاظ والجناس والتورية وأسلوب الحكيم. وقد قام بدراستها والتمثيل لها وتحليلها في اللغة الانجليزية William Empson في كتابه البديع Seven Type of Ambiguity.

٣. استخدام اللفظ في معنى مجازي يجعله أكثر أدبية، إذ يصبح مليئاً بالحيوية والإشراق، قادراً على التأثير في النفس، فضلاً عما يثيره وبخاصة إذا كان مجازاً جديداً - من دهشة واهتمام.

٤. كثيراً ما يأتي تعدد المعنى أو نقله لسد فجوة معجمية، وكثيراً ما يرد هذا النوع في حياتنا اليومية وفي لغتنا العادية.

وأفضل أمثلة على هذا استخدام أعضاء البدن - في كل اللغات - استخدامات مجازية مع الجمادات مثل: أنف الجبل - عنق الزجاجاة - رجل الكرسي - عين الإبرة - حاجب الشمس - جفن السيف - لسان الميزان - صدر النهار - يد القوس - كبد السماء.

(٥) في اللهجات العربية، ص ١٢٥، وأنظر: اللغة لفندريس، ص ٢٢٩.